مبادئ التربية المعرفية وأخلاقيات شكلانية الفنون الجميلة

أ.م.د. كريم حميدي الربيعي
كلية الفنون الجميلة ــ جامعة البصرة

الفصل الأول

١ – المقدمة ومشكلة البحث

لقد دأب رجال التربية ورجال الفنون دائما" على تكوين اسس واضحة ومهمة للعملية التربوية والفنية وغايتها الاساسية بناء الانسان الحر على اسس علمية منهجية تفيده في حل مشاكله الحياتية اليومية بأقل الجهود واقصر الطرق وافضل الحلول . ومن هذا النهج تعددت الاساليب وتنوعت واختلفت الرؤى في الكيفية المثلى للوصول الى ذلك الهدف لبناء الانسان (الفرد) هذا ، وهذه التعدديات والاختلافات ماهي الا نتيجة حتمية وطبيعية في تضادها، بسبب ان هذا الانسان (التربوي_الفنان) يعتبر اصعب مخلوق من حيث الترويض والبناء لأمتلاكه المشاعر والاحاسيس والميول والاتجاهات وملكات الابداع التي تجره بدورها على ان لابد له من اتخاذ (موقفا") تجاه مايدور حوله من قضايا تمس حياته بصورتها المباشرة وغير المباشرة وهذا الموقف يشكل عامل ضغط من ناحيتين اولهما الضغط البايولوجي والآخر السايكولوجي وهما يضغطان بصورة مزدوجة وفي آن واحد ، بسبب ان حاجاته الطبيعية وحاجاته التكوينية النهائية تحتم عليه هذا الموقف القسري بغض النظر من كون هذا الموقف كان سلبيا" أم ايجابيا" تجاه مايدور حوله ويتعايش معه . ونتيجة لذلك فقد ولجت التربية قديما" وحديثا" طريقا" منذ البداية في عملية بناء اهدافها وتمتين اسسها وسياساتها التربوية كي لايحدث الانهيار الذي يفسد كل شئ قد تم بناؤه في مامضى من حيث الافكار الفلسفية وتطبيقاتها في مجال التربية والفن ولكونها قد اختارت الطريق الاصعب من بين الطرق في عملية البناء هذه ، فهذا يحتم على من اخذ على عاتقه تحمل المسؤولية المعقدة ان يتمرن جيدا" ويتمدد افقيا" وعموديا" كلما تطلب ذلك من مواقف يومية مستجدة، وكلما مر الزمن وتقادم بأتجاه التطور المتسارع ، لأن ذلك سوف يؤمن استمرار هدوءالافكار وتزاوجها بيسر وتطبيقها والتوافق بها مع مستجدات التغيير السريع في الثقافات وتراكم مفاهيم معاييرها ، بحيث ان لم يدرك اصحاب التربية والفنون ذلك سوف يفقدون الكثير من الاسس الثابتة لديهم التي مرت وهم يعتزون بها حتى اللحظة التي هم فيها ، ولكي لايحدث التجاوز عليها تحت مسميات التغيير ورفض البالي القديم ، وبالتالي يفقد التوازن المعياري لها مما يخلق فجوة كبيرة تحدث خللا" في المفاهيم وحيرة في التطبيق بين المعايير الجديدة المتطورة والمتسارعة للمجتمع والتي سبقتها (ولاجدال ان غموض الهدف يتلوه بالتالي غموض في تخطيط المؤثرات التربوية وتخبط وارتجال في سياسة الاعداد والتربية)(٨-ص١٣) وما يوازيها ايضا" في ذلك من مفاهيم الفنون من حيث جمالياتها ونتاجاتها .

ومن هذا نجد ان البحث في اصول التربية ومفاهيمها واسس تكوينها وتزاوج ذلك مع مفاهيم الفنون وغاياته وتطوره واهميته مما يكون صورة نستطيع ان نقول عنها واضحة المعالم والتصورات كي نساعد ذلك الانسان الفنان التربوي على ان يتوافق نفسيا" ومعرفيا" مع اساليب العصرنة الجديدة ووفق معايير اصبحت تتوافق مع إرهاصات العصر ومستلهمة من تربية وفنون الماضي الشئ الذي يستعين به هذا التربوي الفنان في التوافق والاتزان المعرفي والعلمي معا" في محيطه بأعتبار ان الجوانب المختلفة للنشاط الانساني متداخلة فدراستها وفهمها يقتضي التمييز بينها دون فصلها بعضها عن بعض كون التجاوب قائم بين شتى العلوم والفنون وراند تلك العلوم هي التربية المنهجة . فأتت مشكلة البحث لتعبر عن هذه الاهمية كذلك من اهمية عدم الاهتمام بفلسفة التربية المعرفية كأساس لابد منه في تعميق وتطوير المجتمع باتجاه الفنون الجميلة ، والتوضيح صورته بين أفراده ..

٢ – أهداف البحث

١. التعرف عن علاقة التربية المعرفية مع أخلاقيات شكلانية الفنون الجميلة

٢. وضع أسس لهذه العلاقة لتقليل إشكالية الفهم ما بين هذه التربية والفنون الجميلة مجتمعياً

٣ – أهمية البحث

تنبع أهمية هذه الدراسه من كونها تنطرق الى مسألة متوازية في اتجاهين لبناء الإنسان وهي على درجه مهمة من المناشط المعرفيه المعاصره ، حيث تجلت في الجانب التربوي المعرفي وجانب الفنون الجميله ، وما لهذهين الجانبين من أهميه في بناء شخصية الافراد من خلال تنشيط وتعديل أذواقهم ورؤاهم المعرفيه والجماليه معاً . كما ترجع أهميتها أيضاً من عدة أسباب :-

أ . محاولة هذه الدراسه رسم صوره واضحة الرؤيا حول موقع فلسفة التربيه المعرفيه وما هي علاقتها مع محددات الفنون الجميله .

ب . من الممكن أعتبار هذه الدراسه كنقطة شروع لتغذيه راجعه (Feed Back) من خلال أستناجاتها وتوصياتها لمراجعة البرامج التعليميه كافه في المؤسسات التربويه والفنيه لتعديل ما وجد فيها من خلل بما يعزز ثقافة الافراد لربط الجوانب التربويه المعرفيه والفنون الجميله .

٤ – تحديد المصطلحات إجرائياً

١. التربيه المعرفيه (هي الافكار الفلسفيه التي تثبت في مجتمع ما لتكون فيما بعد أهدافاً في تربية وتعليم أفراده) .

٢ . أخلاقيات شكلانية الفنون (هي العلاقات والاطر الاخلاقيه التي تحددها أنماط مختلفه من أفكار الاعمال الفنيه لمجتمع معين ، والتي تؤثر في سلوك أفراده سلباً أو إيجاباً وفق مفهوم التذوق الجمالي) .

الفصل الثاني

أولاً : مفاهيم ومبادئ التربية

بالرغم من الاختلافات التي نجدها بين النظريات التربوية فأن هنالك اتفاقاً" واضحاً" كون ان المجتمعات الحديثة والانظمة العصرية قد انطلقت من الشعور الذي يؤكد على ان التربية يجب أن تستمر وان تفعل دوراً" رائداً" في بناء الانسان ، ولايمكن لها ان تتخلى عن الطريق الذي تسير عليه لأن اصلاح التربية يعني دفع العملية التربوية الى الامام ، بمعنى ان هنالك تخطيطاً" تنموياً" يحمل معه الجده في الافكار وتطوراً" في الابتكار وهذا يصعد من استمرارية البناء في جميع الحلقات التي تتكون منها الهيكلية المعرفية ووفق المعايير النسبية ((الشبه ثابتة)) التي يرتكز عليها المخططون للوصول الى الارتفاع المطلوب بصورة الكفاءة النوعية في الانظمة المعدة للتطوير، حيث نجد ان التجارب التربوية العربية التي بدأ معظمها في التجريب قد اصابها شيئاً" من ذلك التخبط والنكوص في استمرارية بناء برامجها وافرازات نتائجها التربوية في بداية الآمر ، لكن استمر البعض في ذلك التجريب حتى اسس له نمطاً"واضحاً" واسلوباً" تميز بالمنهجية العالية في التخطيط من حيث الاهداف وبنائها والغايات في تحقيقها والنتائج الجيدة ، وبالرغم من ذلك النجاح المقتضب لكنها ظلت تجارب دون مستوى ما ارادته القيادات التربوية المعنية بذلك التطوير ، اذا ما قورنت مع تجارب العالم المتقدم والمتطور من حيث بواعث الرغبة في التطور والجدية والنتائج لأمتلاك التفرد وامتلاك الخصوصية في التطوير..

ان تحديد انماط تمركز الفرد في المجتمع من حيث سلوكه اليومي ومرانه الوظيفي يتطلب اهتماماً" عالياً" في كيفية تحديد هذه السلوكيات ومراقبتها ، وكيفية التعرف واختيار الطرائق والوسائل التي تمكنه وتؤهله لأن يكون ماسكاً" بمفاتيح (المران) ليكون من خلالها بتوضيح الصورة العملية والواقعية لمهاراته في العمل والابداع والتي من دونها يصبح فرداً" مهمشاً" بعمله وابداعه في المجتمع الذي يعيش فيه . فتجديد السلوكيات هذه ينبغي ان تؤطر بأسس نظرية غاية في الدقة وغاية في الفهم والادراك ومن اهم هذه الاسس مايأتي :-

١ – الفلسفة الواضحة:-

ان دورات المجتمع ((اي مجتمع)) لابد لها من جنين فلسفي وهذا الجنين تتراكم خبراته من خلال مانسميه ((بالخبرة المربية)) التي امتدت طويلاً" في الماضي التربوي وكونت ذات التراكم المعرفي المتجانس بين مفاهيم وافكار وثقافات المجتمع وكما يطلق عليه يونكك ((باللاشعور الجمعي)) وهو مخزن الآثار العاطفية التي استمرت طويلاً" واخذت تتصارع بأضطراد مع الإضطهاد حتى تغلبت الصفة الاكثر قوة والاقرب منفعة لمصالح الفرد ذلك او الجماعة تلك ، حيث اصبحت وبمرور الزمن وتراكم طبقاته السايكولوجية المعرفية بنياناً" ثابتاً" اتخذ الصفة والسمة التي ولد فيها ونشأ وترعرع معها . ولذلك نجد الكثير من افكار الفلسفات في الماضي اصابها النكوص واصابها التحول من مجتمع الى آخر ، وحاولت اغلب تلك

المجتمعات تغيير وتبديل نظرياتها وفلسفاتها نتيجة ما استجد من مفاهيم اعتلت ناصية تقدمها وتطورها حتى اصبحت اعتزازا" وفخرا" لها في الوقت الحاضر. وكان رائدها في هذا التقدم والتطور هو ماتمسك به ((المجموعة النخبوية التربوية)) في التفعيل لتجريب ماتحتويه من افكار جديدة تطابقت حينا" وابتعدت حينا" آخر مع جنينها الفلسفي التربوي الماضي . هذا ما كان في المجتمعات التي تطورت بشكل جعلها ترتقي سلم الحضارة بوضوح اما المجتمعات التي ظلت مهمشة لنفسها ومنعثرة احيانا" كثيرة فقد كان ذلك بسبب ((اعتناق افكار تلك الفلسفات الجنينية احيانا" قليلة أو أهمالها تماما")) للفلسفات بشكل عشوائي ومتداخل قد هيأ للنخب التربوية المطالبة في التغيير والاصلاح مناخا" مقبولا" في المجادلة لتحرير اخطاء التجريب لأساليبهم ويلتحفون به كي يمرروا من خلاله كل مايحملونه من تناقضات وسياسات ذاتية اثرت بشكل سلبي في البناء التربوي القاعدي لمجتمعاتهم ، ونتج فيما بعد خلخله في ذلك البناء الذي تراكم تدريجيا" بهشاشة مكوناته المعرفية والتطبيقية ولكن بالرغم من هذا هيأ لتلك المجتمعات ارضية بكر لترسبات افكار قد اتفق عليها جميع من خاض معترك تطور وتقدم مجتمعه بأيجابية ورضا بأن تكون صالحة لبدء مسيرة جديدة وجدية للأصلاح لتصبح نوعا" من انواع ذلك السلوك الجمعي والذي نطلق عليه بداية تكوين النضج الفلسفي_التربوي لذلك المجتمع . ومن خلال هذا التكوين يقود رجال التربية هذه الافكار الفلسفية ليتعاملوا مع لبها فهما يعتبرونه أهلا" لتطوير قابلياتهم في التخطيط اولا" ونافعا" في تربية ونجاح افراد مجتمعاتهم ثانيا".

٢ – البناء التراكمي :-

اما الاساس الثاني فيتمثل في البناء التراكمي لتلك الفلسفات حيث انه لايمكن ان نعتبر اية نظرية فلسفية تربوية قد نجحت في امتداد مدياتها افقيا" وعموديا" في فواصل المجتمع الا اذا كان لها ذلك التراكم القبلي من الافكار وبعضا" من تطبيقاتها والتي اصبحت تراكما" مقبولا" يحمل صفة ((الاغلاق الجشتالتيه)) بحيث كلما تكونت فكره ايجابيه لدى ذلك المجتمع يصبح لها صدا" واسعا" في البدء وتستمر حتى تتمركز في البناء الداخلي للافراد ، وتكون طبقة جديدة فوق تلك الطبقات التي سبقت في ايجاد عصارة فلسفية تحمل السمة الواضحة لذلك المجتمع في البناء والحث المعرفي ، اما اذا لم تجد الارضية والمناخ الايجابي الذي يعزز ويقوي من بقاءها وتمركزها فنجدها تتلاشى وتتقلص ثم تنتهي بشكل لانسمع عنها أية تداول أو أية أهتمام وبالتالي يخسر المجتمع بناء" جديدا" مما يوقف معه فرصه للتطور بأتجاه تراكم الافكار الايجابية وهذا بحد ذاته يصعب مهمة رجال التربية من ان يستفيدوا ولو من حلقة واحدة في تجديد تصوراتهم التربوية وبناؤها تجاه الخزين البنائي المعرفي للمجتمع .

٣ – الانتقاء الجيد :-

من خلال تحديد الفلسفة التربوية الواضحة والتي اصبحت اطارا" مرجعيا" في تأسيس الاهداف العامة لذلك المجتمع ، ومن خلال بناء تراكماتها كأصول ومرجعيات فلسفية تربوية يأتي عامل الانتقاء الجيد والذي يهيمن على مساحات واسعة من مصالح الافراد وميولهم واتجاهاتهم ، وان عملية الانتقاء تكون ذات وجهتين مهمتين الاولى ترتبط ارتباطا" مباشرا" بذاتيات الافراد ومصالحهم ((المشروعة وغير المشروعة وفق الاعراف السائدة عندهم)) وثانيهما ترتبط ارتباطا" غير مباشر مع مصلحة المجتمع والذي يعتبر في هذه اللحظة خليطا" غير متجانس نتيجة ارتباط وتناقض المصالح الذاتية مع بعضها فعندها يحدث الصراع الغير منظور بين الخاص والعام وبين الخاص والخاص وبين العام والعام ، اي هنالك ارتباطات اخلاقية لكل فرد مع مجتمعه وللمجتمع تجاه الفرد وكذلك المجتمعات مع بعضها البعض الآخر اي عدم اهمال تلك الارتباطات عندما يكون التعامل مع تلك الافكار ولايتعامل معها بأنتقائية على اقل تقدير في المواقف اللامرئية ، حتى لايكون هنالك اضرارا" بالمجتمع..

كذلك الارتباط الخاص بالخاص اي التضاد بين المصالح الفردية المباشرة لذلك الانتقاء وتبدأ عندها التمحورات والتكتلات ذات الصفات المتشابهة والمتفقة لكل طرف ومايقابله فيحدث الصراع ويحدث الهدم بشكل اكثر فعالية واكثر قساوة وبالنتيجة تكون المحصلة النهائية فقدان فرصة للتطور وفرصة للتراكم المعرفي ايضا". اما صراع العام مع العام فهذا يعني الصراع الاكبر توسعا" والاعمق شمولية" من كون تعامله مع الافراد مجتمعين وفق مصالحهم المختلفة حيث يكون الصراع جماعيا" مما يخلق نوعا" من تحطيم الارادة وذوبان الافكار قسرا" فتنشأ عملية ((الكبت الجماعي)) وهو اخطر انواع الاختلافات ، لانه يمتد عمقا" في التطرف ويتسع ايلاء" في الاصرار على المواقف الجديدة التي هيأت لتلك الاختلافات ..

وهنا يتوجب على المعنيون بتقويم المفاهيم التربوية بالتدخل باعتبارهم يمتلكون مفاتيح حل هذه الاختناقات وبشكل يسهل

عملية التحاور والتطابق للوصول الى حالة توفيقية تسهل وتوقف في بادئ الامر عملية الهدر المعرفي للافراد والجماعات على حد سواء وتبدأ عملية فك الاختلاف والاختناق الذي حصل بين جميع اطراف العملية موضع الاختلاف من حيث وضع الاهداف وتوصيف الحقوق والواجبات والتدريب على استيعابها بتدرج..

٤ - البلوغ والتثبت :-

ان عملية نضج المجتمع ووصوله الى حالة التفاعل المدرك للافكار الفلسفية التربوية التي مرت عليه متدرجة دونما فواصل او طفرات يهئ المناخ الايجابي لعملية البناء ، وهذا البناء يصبح فيما بعد ثوابت ايجابية تحتم على العاملين في الميدان التربوي على توضيحها كاهداف وكتطبيق (باعتبار ان الفلسفات التربوية وبناء مناهجها يعتبر عموما" والسلوكية منها بوجه خاص مفتاح الصناعة المنهجية بكاملها ، تخطيطا" وتطويرا" وتنفيذا" وتقييما")(٧-ص٢٥٨) ولايمكن بعد ذلك المساومة عليها مع اية فكرة لم تأخذ مدياتها في النضج والاستقرار ، لأن ذلك سوف يقوي ويعمق أواصر العلاقة بين الافراد والجماعات مع هذه الثوابت الجديدة مما يخلق -ومع عملية التأكيد والأهتمام بها- نوعا" من الآلفة والتوافق والرغبة داخل وخارج الشعور الذاتي بألصاق تلك الصفات والثوابت بالنفس والافتخار بها بأعتبارها قد اوضحت وازالت الشوائب عن عتمة الشخصية ((الهوية الشخصية)) لذلك عندما يحدث التوحد والتطابق يكون البناء صحيحا" ونافعا" فيمتلك الافراد صفاتهم من تلك الصفات حتى تبرز شيئا" فشيئا" معالم الولادة الجديدة لذلك المجتمع وبصفات محدودة وانماط واضحة تختلف اختلافا" جوهريا" عن صفات وانماط افراد ومجتمع آخر . فعملية البلوغ لازمة من لوازم النشوء لنصل الى حالة التثبت والبناء لتكوين الصفات الخاصة بذلك الفرد وذلك المجتمع ووفق معالم لشخصية واضحة التكوين ...

٥ - الفهم والتطور:-

تعتمد عملية الفهم والتطور على ترابط وظيفي بأحساسات النوع البايولوجية فحينما يشعر الافراد بأنتمائهم الى الجماعة يتكون لديهم القابلية النشوئية التطورية وبتفاعل هذه ((النشوئية التطورية)) مع الافكار الفلسفية التربوية البيئوية يتكون ترابط ذات حساسية بالغة الحذر فيما بينهم وبين هذه الافكار وبمرور الزمن تتولد اتحادات جانبية متفرقة شبيهة بالكتل المنتظمة ولكنها متباعدة الآلفة ، وتستمر هذه الحالة الى حين اكتمال نضجها فتتحد مكونة الاطار العام الثابت لأفكارها وسلوكياتها ، وهذا يعني انها قد دخلت عامل الفهم بعد ان يتم طرد العوامل النفسية السلبية او كبتها على اقل تقدير تجاه التجمعات والوحدة بفعل التواصل والامتزاج لتكوين الآلفة بين المجاميع الاجتماعية التي تشكل وحدة المجتمع . وهنا يحدث التطور للأفكار المطروحة وتمريرها بشكل سلس ودونما مشاكل واضحة ، بحيث تؤدي في نهاية الأمر الى تعديل وتبديل واضافة الجديد ، لتكون اضافة جدية جديدة على مجمل الافكار الفلسفية التربوية السائدة ، وفي هذا المجال يقول بروتاجوراس(بأن الانسان هو الأساس الذي يجب ان يقاس به كل شئ **(man is the measure of all things** (١٠-ص٢٠٢) ونتيجة لهذا النشوء يبدأ الاهتمام في بنى العلاقات الفكرية المتصلة بتحديد الخاصية أوبلوغ شمونية للأفكار بأعتبارها اصبحت الآن قاعدة ثابتة لهم ، ان فهم هذه الاسس المتسلسلة والمترابطة من قبل افراد المجتمع يجعل من الصعب جدا" القول ان هذا المجتمع بحاجة الى اعادة ترتيب وتركيب في بنية افكاره الفلسفية التربوية وان الاستمرار في صقل وتمتين الروابط بكل جديد معرفي بين هؤلاء الافراد وبين((النخبة)) يعتبر من اولى المهام التي توليها مفاهيم الفلسفة التربوية في عملية ارشادها لبلوغ اهدافها ، وهذا يفرز لنا اساسا" مرجعيا" متسلحا" بتلك المفاهيم التي يعتمد وتعتد بها جميع طبقات ومكونات ذلك المجتمع بدء" من العائلة مرورا" بالدراسة والاقران وانتهاء" بالمجتمع الذي تشكلت لديه نوع من صفات المتانة الفكرية لتأسيس حلقات النهوض الحضاري والثقافي والعلمي لذلك المجتمع .

ثانياً : النظم التربوية ، أهميتها ، دورها ، علاقاتها ، غاياتها ، مستقبلها ...

للتربية مفهوم قديم نشأ بنشوء تواجد الانسان على الارض اي لايسبقها مفهوم من المفاهيم الوظيفية ، هذا اذا افترضنا جدلا" بأن الانسان هو الذي تولدت منه فكرة كلمة ((التربية)) بمعنى ان هنالك عوامل ومطالب املت عليه ان يتعامل مع السلوكيات الغير مرضية ليروضها بأتجاه مصالحه وبأتجاه تعديل ((المخلوقات الاخرى_الافراد)) وبما يتلائم وألفة وتوافق سواد مجتمعه الصغير آنذاك ، وبمرور الزمن تعددت سبلها

وأطرها وتشعبت مدلولاتها وتنوعت اساليب تعديلها وترويضها تبعا" لتطور ذلك الفرد _المجتمع_ وتعدد حاجاته فأصبح يتعامل مع الاحداث اليومية بروح تتطلب تطبيقا" صادقا" تجاهها من حيث العزم والجدية ليعدل ويعلم وينمي ذلك السلوك وهذا بالنتيجة قد وضعه في حالة تمكن ، ومساعدة المربي في تنمية مدركاته العقلية وتطويرها عن كل شئ يدور حوله ، ولايمكن ان تتحقق هذه النتيجة بمعزل عن الآفاق التربوية التي توطر ذلك التعديل او التطوير وفق سلسلة من المران المتدرج بصعوبته من البسيط الى المعقد ومن السهل الى الصعب والاصعب ، وهذا سوف يزيل الغموض والتعقيد الناشئ من تزاحم المصالح والارادات وهو هدف مهم من اهداف التربية في الارشاد والوعظ تجاه الافراد وبهذا الاطار لابد من تمثيل ذلك الفعل الاصلاحي (التربوي) _ان صح القول بتسميته_ بأيمان عميق لتكوين الدافع والرغبة في التربية لأن مرور الدوافع بأنتقائية وخمول يطفئ جذوة الحماس تجاه الاحداث التي تحتاج الى ارشاد وتوجيه ووعظ ، وبالتالي فقدان العنصر المهم وهو((دافع العمل العالي الخاص الذاتي)) لأن هنالك دوافع معتدلة ودوافع ضعيفة تتكون لدى الآخرين نتيجة الظروف الذاتية والموضوعية الخارجية بتركيبتهم النفسية والاجتماعية مجتمعة ، فعلينا ان نهيأ الظروف الجيدة لكي يتناسب انجاز الفرد في عمله واندفاعه الذاتي ، بحيث تشكل علامة ايجابية عالية الهمة اثناء تأديته لواجبه المعين في التطوير التربوي . وهذا هو دور التربية تجاه الافراد وتجاه المجتمعات (فقد يتطلب ان يكون للتربية دور واضح في توجيه وقيادة التغييرات في المجتمع ، حيث ان التغيير في المجتمعات يتطلب ايضا" تغيير التربية من وقت لآخر تبعا" لتغير المجتمع) (١-ص١٣). ومن هنا تأتي الاهمية في عملية احلال متبادل للتغيير ما بين التربية نفسها وما بين المجتمع المراد تغيير مضامينه تربويا" ، فأذا ماتحتم احداث تغييرا" جوهريا" في المجتمع وفي بناءه الاساسي نتيجة الرغبة في التطور ودعما" وتلبية لمتطلبات العصر الجديد وقوة التحديات الموجهة سواء أكانت قصدية ام حتمية طبيعية وجب الاعتماد على التربية في ذلك البناء اي يكون هنالك جوهرة للأفكار وتهيأتها لأن تأخذ اطارا" فكريا" ناجعا" ورائدا" تجاه احداث التطوير والتبديل ، وهذا معناه تغيير في المجتمع بأمتدادات تقويمية فاعلة ، اما اذا العكس اي ان هذه التعديلات والتغييرات اتجهت صوب التربية وان كل الدلائل والاحداث تشير الى انها قد تخلفت كثيرا" عن سير المجتمعات ، بحيث اصبحت الفجوة كبيرة ما بين ((المادة المجتمعية المتطورة)) ومابين ((المادة التربوية المتخلفة)) فعندها وجب تغيير في البنى التحتية لمفاهيم التربية بحيث تتوافق وتتناسب مع مدخلين رئيسيين في عملية التجديد ، اولهما مع البناء الخارجي لذلك المجتمع ، اي العلاقات التأثيرية والتأثرية للمجتمع المجاور ، وماهية امكانياته في التطور ، ومدى قوتها وأطر الاستفادة من ايجابياتها التي تتوافق مع مصالحه وكياته دونما تأثر سلبي على ذلك الامتزاج وثانيهما داخلي بمعنى تحديد الأطر التي يمكن ابدالها واحلال محلها الجديد النافع الذي يتماشى مع التجديدات الخارجية من جانب وتقبل الابدال الداخلي دونما رفض او اعاقة من جانب آخر.

وهذا بمجمله يصب في وعاء التغيير التربوي الهادئ والسريع في نفس الوقت كي تتم السيطرة على الهوة القائمة ما بين مساحة الأعاقة اولا" ونوعية التطور ثانيا" ونتيجة لهذه الحقائق تكمن اهمية التربية وثقافتها في بناء المجتمعات وهذا البناء يحتم ان يتبادل ويتناوب بين فترة وأخرى كلما تطلب ذلك من حاجة له سواء أكان من جانب التربية نفسها كمنظرين للأفكار ام من جانب المجتمع الذي هو بالأساس منبع الافكار وغايه ووسيلة للتربية في تنفيذ برامجها لأحداث التطوير المعول عليه .. لقد برزت الادوار الاساسية للتربية في ايصال الغايات التي حددت لها سلفا" وذلك نتيجة لبرمجة سياساتها التعليمية ، من حيث التخطيط والتنفيذ ، وفيما يتعلق بالدور التخطيطي فقد اهتمت المؤسسات التربوية به اهتماما" معياريا" ، الهدف منه الحصول على الكفايات المطلوبة في سلوك الافراد من حيث المهارات المتقنة في الاداء ، وهذا يجعل من دور التربية التزاما" بتلك المعايير التي تعتبر صمام الأمان لكل اختلاف قد ينشأ بين رجالات التخطيط والمتابعة ، كذلك رفض لأي نوع من انواع التغيير ، فأذا كان هذا التغيير في البنى التحتية لبرامج هندسة المناهج لايتوافق ولاينسجم مع تلك المعايير يحدث الابتعاد عن ذلك التغيير بشكل تخطيطي فاعل وواعي لمجريات الجديد من الافكار ، اما اذا كان هذا المطلب في التغيير متوافقا" ومنسجما" مع هذه المعايير يحدث التغيير ووفق شروط ثابتة ومرنة في نفس الوقت لكي لايحدث تقاطع وخلخله بينهما وبين معاييرها فتفقد التربية غاياتها وتفقد

ادوارهافي عملية البناء . اما من حيث التنفيذ فغالبا" ما تعتمد هذه الحالة من نواتج العملية التخطيطية وتكون تابعة لمجرياتها ومستقبلة لمخرجاتها بشكل تدريجي دونما اية عوائق ، الا اذا كانت هنالك نواتج واشكاليات جانبية تنشأ نتيجة التطبيق غير متوافقة اصلا" مع حلول نواتج تطبيقاتها الميدانية السابقة واستمرت بشكل قسري في الحصول على الانسجام المطلوب ففي هذه الحالة وجب التأني والانتظار في التنفيذ حتى تكتمل حلقات التوافق من حيث التخطيط وتطابقه مع الحاجة الفعلية ومن ثم يحدث التطبيق للتنفيذ ، لأن ذلك شرط من شروط الحصول على النتيجة الايجابية لتطوير البرامج التربوية المعلنة وعندها تنشأ العلاقة الجيدة مع الحلقات الأخرى من نظم المعرفة كحاجات أملتها متطلبات المجتمع(سوح العمل) كظرورات لاستمرار التطور ، فالعلاقة في هذه المرحلة تتخذ شكلا" شفافيا" بين الكم والنوع ، فأذا كانت- (كمية) عليها ان تحسب جيدا" الحاجة الفعلية من المعلومات التي تفي بالغرض التطويري ، واذا ماحدثت زيادة سوف تعطل عملية الاستفادة وبالتالي الحصول على الخسارة المعرفية سلبا" عندما تكون الادوات التي تستقبل هذا الكم من المعلومات غير مستعدة وغير مؤهلة تأهيلا" عمليا" للاستقبال والاستيعاب

اما اذا كانت (نوعية) فغالبا" ما تكون هذه النوعية على حساب الكم وبالنتيجة الحصول على النخبة المعرفية المركزة والتي تحتم وجوب الاهتمام بالمعلومات ذاتها والاهتمام بالافراد الذين يعملون في عملية الاستيعاب والفهم وبالتالي المتابعة في التقويم والتقييم الادائي .

اذن فالأهتمام بالنوع يسلب معه الحاجة بزيادة المخرجات للنظام التربوي وهو وفي هذه المرحلة بأمس الحاجة اليه لأحداث التطور المطلوب في المجتمع ، فلكي يحدث الالمام الايجابي من المعرفة التربوية يجب ان يتم التوفيق بين هذا الكم وهذا النوع من المعرفة للحصول على المفيد الجيد النافع ولو بالقدر الذي يساعد على انماء عملية التطور ، بالأعتماد على تلك الشفافية التوفيقية بين الاثنين ، اي يكون هنالك خلق جديد متوازن مع الحرص الشديد من عدم الميل على اية جهة دون الأخرى في عملية البناء حيث ان (الاساليب المطلوبة في عملية التنظيم هي نهضة تربوية تتطلب الاعتماد على التكامل وتوجيه القدرات نحو الاحتياجات بشكل متوازن) (٢-ص١٣٢) ان تحديد الاهمية والدور والعلاقة لماهية التربية في انماط تفاعلية متجددة يسهل عملية الوصول الى الهدف او الغاية من ذلك البناء المعرفي التراكمي ، فعندما تكتمل الأطر الخارجية للمفاهيم التربوية وتنضج وتتحدد المسالك الرئيسية التي من خلالها يتم البناء وتتم الحركة بأتجاه الهدف عندها نستطيع ان نميز كل فعل تربوي بوضوح لأن عملية الوضوح هذه وعدم التداخل بين مسالكها التعريفية كأهداف وغايات سوف تمكن العاملين في مجال التطوير التربوي من ترتيب البناء بشكل متسق نحو النجاح دونما عقدة متداخلة تسبب في تعطيل ذلك النمو المعرفي والذي يشكل منهجا" في الترتيب السايكولوجي في كل حلقة من الحلقات المعرفية التي يمكن تناولها بايجابية ويمكن التوسع فيها بحيث تشمل عددا" كبيرا" من تلك الحلقات المعرفية ، اي يحدث لها ترتيبا" منطقيا" في ترابطها وفي حلقاتها البنائية الموصوفة... وهنا يكمن الدور المهم والبالغ الأثر في عملية البناء من خلال الحلقات المتقدمة في عملية البناء والتطوير التربوي وهم المخططون التربويون متمثلين في الكوادر العليا في البناء التربوي وتقويمه والمدرسين الذين يقع عليهم فعل التطوير والهامش المعرفي ، لأن عملية ايمانهم بدور التربية في تقدم الافراد والمجتمعات يسهل عملية ايصال تلك المعارف البنائية بسهولة ورغبة وحماس شديدين لذلك (اذا اردنا احداث تغييرات ابداعية في ((المجتمع)) فعلينا ان نبدأ لا بالطرائق المستعملة في التعليم ((التطوير)) ولكن بالأشخاص الذين يعلمون وان نقنعهم بتغيير مفاهيمهم ومواقفهم)(١٢-ص١٦٠) . حيث يكون مستقبل التربية واضحا" من حيث اسسه المعرفية ومن حيث طرق تنفيذه ونواتجه التي تكون مساحته العريضة، الحلقات المعرفية المنتشرة عموديا" وافقيا" في البناء المعرفي التربوي للأفراد وللمجتمع .

ثالثاً: العلاقة بين المجتمع ومفهوم التربية ...

تمتد العلاقة ما بين التربية والمجتمع الى البداية التكوينية للتجمعات البشرية الاولى ، من خلال الافراد الذين كونوا لأنفسهم معايير شبه ثابتة التجمع ، أملت عليهم فيما بعد اخلاقيات الالتزام بها وعدم الاخلال بنواميسها القائمة ، وان اي اختراق لها يسبب نوعا" من الكوارث الاجتماعية المباشرة على تلك المجاميع ، لأن ذلك يمس جوهر العلاقة القائمة بينهما بالرغم من ((هشاشتها)) وعدم ((تكلسها)) بعد. فعندما يحدث التجاوز على هذه الثوابت البكر يعطل معه جانبا" من جوانب البناء الاجتماعي للأفراد ويخلق معه ازمة هدم يمتعض لها هؤلاء الافراد موضع الفعل معه بالرغم من عدم تفهمهم احيانا" الاسباب الجوهرية الحقيقية الواعية وبالرغم من انتفاء القصدية في ذلك التجاوز . لذلك نرى هذا الفرد قد حرص على تطوير مفاهيمه وعلاقاته مع الجماعة لكي يحقق العدالة الاجتماعية بأفضل صورها متخذا" بذلك ارقى الوسائل وافضلها واحبها الى نفسه وللآخرين في نفس الوقت لذلك (ان اول مايلفت للنظر في الانسان البدائي انه عنى اول ماعنى بتنمية قدرته المحدودة كي يستطيع مواجهة الواقع القاسي من حوله

ويتجنب الفناء وهذا هو الدرس الاول الذي تعلمه البشر من دروس الحياة)(١٣-ص٤٨) . وهو نوع من انواع العلاقة التربوية ، وهو اول جزء من اجزاء العلاقة الدائمة بين الفرد-الجماعة-المجتمع مع التربية ... لقد تحددت وظيفة الافكار الاجتماعية فيما مضى بتكوين مفاهيم خاصة متنوعة ومختلفة تنوعت واختلفت بتنوع واختلاف وتعدد المجتمعات ، فأضفى على هذه التجمعات تسميات استمدت اصولها من عادات وتفكير وحاجات تلك المجتمعات فتكونت لها بما نسميه ((الفلسفة الاجتماعية)) والتي اصبحت فيما بعد توجه سلوكيات الافراد والمجتمعات كل حسب وظيفته وكل حسب غايته ومصالحه وعندما نريد ان نحدد فاعلية هذه الافكار ونتعرف على دورها في تطور مجتمعاتها نجد انها تحتوي على ثلاثة عناصر اساسية اسهمت بفاعلية في هذا التطور :

العنصر الاول : هو عملية انتشار هذه الفلسفة الاجتماعية بشكل تدريجي وحذر دونما تعميم من حيث المجاهرة بها والبدء في الفعل الاقوى في التصويب والامتلاك ، فينشأ في هذه الحالة اختلاط الافكار مابين القديم والفكرة الجديدة ، بحيث تتكون التداخلات في البداية ثم يحدث الفرز التدريجي فيما بعد . ونتيجة لهذا التدرج يبقى الافراد ينتظرون طويلا" ويراقبون الاحداث وفوران دائرة الثقافة مع الجديد ويرصدونها من بعيد حتى تكتمل الصورة التي ربما تتوافق مع مصالحهم ((الذاتية)) او لاتتفق معها وبشكل لايشكل خرقا" لنواميس وثوابت المجتمع ومن ثم يحدث الانتشار السريع لهذه الافكار ((الفلسفات)) وهو العنصر الثاني فيها حيث نجد السرعة المتناهية والرغبة الجامحة في الدخول فيها والدفاع عنها بشكل يحدث معه تصورات ((قفز)) تتخطى الارتباط الطبيعي بين حلقاتها ذات الترميز المعياري المستقر في الماضي ، اي خلق فجوات غير مفهومة نتيجة هذا القفز لدى هذا الانتشار مما يعيق عملية الاستمرار الطبيعي الواعي فتؤثر هذه ((القفزات)) سلبا" في خلق انسيابية التواصل والترابط بين حلقاتها الأخرى ، وهنا يحدث النكوص والاختلال والمجادلات في قصور وعدم وضوح الصورة الجديدة ، وسببه هو تسلل تلك الافكار الى العقول تحت زخم وبهرج الاعتناق والانتشار السريع لها . اما العنصر الثالث فيحدث عندما تختلط المصالح الذاتية مع قوة الانتشارهذه بشكلها الايجابي ودراسة تلك الافكار من قبل ((النخبة الواعية)) دراسة تضفي الى نتائج ايجابية وتسد تلك الفجوات ((القفزات)) نتيجة الدراسة المعمقة والجدية لتلك الافكار وبالتالي حدوث التوافق والرضا فتتكون اساسيات وطرائق جديدة للتطور عندها تنشأ ثوابت ومعايير لفلسفة اجتماعية جديدة وهكذا تؤطر سلوكيات الفرد بأتجاه زيادة تواصله مع الجماعة التي تمتلك ايضا" افكارها ورؤاها الخاصة المختلفة والتي تحاول من حيث الادراك والفهم والانتماء التقارب مع الجديد ، فوظيفة الفكرة الجديدة هنا هو (انها تتيح للأنسان فرصة الانتماء الى الجماعة ومن المعروف ان الجماعة تتكون من عدة قوى لها مصالح وعلاقات وان كل واحدة من هذه القوى تمتلك فلسفة تحدد مواقفها في داخل المجتمع وخارجه)(١٥-ص١٩) .

ان اكتمال صورة التوافق الفلسفي الاجتماعي للأفراد يحتم في هذا الجانب الاستمرار في مواصلة التطوير وتثبيت تلك الافكار مادامت في طور النشوء والتكوين لأن الحياة بطبيعتها متطورة ، وهذا التطور يخلق معه نوعا" من التغيير وخلق ارتباطات جديدة من القوى المناقضة لهذا الجديد فيقوم الاشخاص الذين قاموا بمهمة الابدال الفلسفي الاجتماعي التربوي للمجتمع بمتابعة ومواصلة وردم الفجوة الفكرية التربوية الفلسفية وبين الافراد ، وذلك لأيمانهم وكذلك مسؤوليتهم بأن (ادارة السلوك الانساني تعتبر من المهمات الصعبة والمعقدة نظرا" لتعدد وتشابك المتغيرات التي تؤثر في سلوك هذا العنصر وتداخل علاقاته وتعددها من ناحية والى عدم استقرار العناصر التي تؤثر في سلوكه من ناحية اخرى)(٣-ص١٧) وهذا بدوره يؤثر تأثيرا" سلبيا" على عملية التثبت والاستقرار لجميع الافكار الجديدة التي لم تصل بعد الى طور الثبات والامتزاج مع ذاتيات الافراد ومصالحهم وليس من الضروري ان نعثر على اتفاق في الاهداف العليا للفرد بأتجاه غاياتهم وافعالهم الآنية ، لأن ذلك سوف يتلاشى بالتدريج عندما تتهيأ الفرص المستمرة بالتوجيه ، فهذا لايشكل عائقا" فكريا" بارزا" يهدد فكرة عدم القبول والرفض مادامت صفة وفكرة التغيير قائمة وواضحة ومستمرة . ومن هذا الفهم العام لهذه العلاقة المتبادلة بين المجتمع (افراد-جماعات) وبين الأطر الفلسفية الاجتماعية للأفكار (منظومات تربوية) تتحدد العلاقة بين الطرفين على اساس هذا النضج المتبلور الذي يسود عملية الانتقال التدريجي بشقيه الايجابي والسلبي تجاه ثوابت مكونات الجانب المعرفي الجديد ، لأن النتيجة بعد ذلك تكون حتمية غلبة الافكار الايجابية

بأعتبارها ذاتيات المجموع الاجتماعي ، فيكون الدفاع عنها والمناداة بها واضحا" في احلاله محل الحلقات المتناثرة والغير متوافقة مع مصلحة وذاتيات المجموع الاجتماعي ، حيث ينظر ارسطو للتربية بأعتبارها (فن توجيه المجتمع بحيث ينتج اعظم الخير للبشرية ، وان نجاح الساسة في جهودهم يتوقف على وجود المادة الصالحة التي يتعاملون معها اي وجود شعبا" صالح ... وان وظيفة التربية اخراج مثل هذه الجماعة من المواطنين)(١٥-ص١٩) بأعتبار ان البناء الجديد لايرتقي الى الفعل الشر الا بوفرة هؤلاء الافراد الذين تربوا تربية اخلاقية وجدانية اطارها العام الحق والعدل تجاه كل مايمس حياتهم من حاجات نحو المستقبل وبتفاعل مع الآخرين وكما قال افلاطون ((بأن الحياة الطيبة تتضمن المجتمع الجيد وان المجتمع الجيد يفترض مسبقا" تواجد نمط التربية الذي يؤدي الى وجوده وتحقيقه)).

الفصل الثالث

أولاً :- اخلاقيات شكلانية الفنون

تحدث الكثير من المفكرين والمشتغلين في الفن عن البداية التأريخية لنشوءه والكيفية التي تمحورت حولها النتاجات البشرية على مر العصور حتى وقتنا الحاضر ، ولازالوا ينظرون ويعتقدون ويؤكدون مالهذه الكلمة (فن) من دلالات حياتية سواء اكانت دينية تدخل في معتقدات وطقوس الانسان الاول كضرورة املتها عليه الطبيعة واثبات وجوده عليها بشتى الوسائل التي تؤهله لأن يسيطر عليها ، ام كانت مشبعة بالذاتيات التي كان ينفذها بعد ان حصل على استقراره وثبات مخاوفه العليا التي كانت تهدد وجوده والتي امتدت قرابة (٤٠٠٠٠) سنة في سكن الكهوف ، اي التفاتته للترويح عن نفسه مما علق بها من تلك المخاوف المستمرة ، فبدأ يكون لهذه النفس مايرضيها ويريحها من تلك العوالق الثقيلة بجماليات اسميناها نحن ((فنونا")) او((نتاجات فنية)) حتمتها عليه حاجاته المتزايدة وقبولها في وجدانه واحاسيسه ، بحيث تزيد اشكالها وصورها من طمأنته وسعادته وهي بجانبه ليلا" ونهارا" ، وهو يقضا" ام نائما" فيشعر بالدفئ والامان والقوة معها فأصبحت ضرورات حياتية لايستطيع تحت اية ظروف ان يتخلى عنها . وبمرور الزمن المتقادم الطويل تراكمت نتاجات هذا الانسان وكثرت وتنوعت بتنوع واختلاف وانشطار تلك المجتمعات فيما بعد ، واتخذت معانيها من صفات وعادات وحاجات شعوبها ، ولكن هذا الاختلاف والتنوع ظل يرتبط بقاسم مشترك واحد هو ((الفعل الانساني الواحد)) الذي تتشابه اشكاله ومعانيه الروحية ومطالبه الحياتية بشكل كبير دونما اختلاف او اختلال في الرؤيا والبواعث ، لذلك يعتبر هذا النتاج ((الجميل)) اينما وجد هو ذات اصل واحد ومنبع مشترك لجميع الاجناس فعندما نشاهد عملا" جميلا" لجنس ما او شعب ما ونقارنه بعمل آخر جميل لشعب آخر لانجد الفوارق التكوينية الحاجوية بينهما ((الجماليات التي تحمل صفة الطبيعة والعفوية والسببية)) وهكذا يسري هذا المفهوم على كل شئ يتمحور حول الانسان ، والسبب في ذلك يعود الى ان هذه التجارب الجمالية-النفعية (لم تبعث من العدم . اذ تسبقها في الوجود تجربة نفسية او تجربة حسية انفعالية وتدعى هذه التجربة النفسية غالبا" بمادة التجربة الفنية)(٩ص٣٤٢) والتي ترجع الى ان الانسان القديم يتعامل معها بوعي وفكر واحساس متشابه تمام التشابه مع الاخرين لتحقيق حاجاته اليومية .

من هذا نجد ان نمو هذه النتاجات الجمالية وبلوغها النضج المطلوب للأستقرار الحياتي بدأت ملامحها تتضح شيئا" فشيئا" حتى زادت عن اغراضها التي اوجدتها الحاجة الاولى لتكوينها ، مما جعل التيار الذي يقودها الى ان ينحرف بشكل جديد وسريع نحو غايات ودلالات وحاجات جديدة فبدأت تبتعد عن معاني نشأتها الاولى وتدخل عليها المسميات الحديثة واوجدت لها اغراضا" متنوعة مما اجبرت ذوي العلاقة بها ان يطلقوا عليها المسميات والتسميات الجديدة والتي تم اختصارها بكلمة (فنون) ونعطيها الثوابت والمعايير التي من خلالها نقيم النتاج الجميل (الفني) ونميزه عن غيره من النتاجات لكثرتها وتنوعها ، وهنا أخذت بعدين مختلفين في المعنى ، معنى يحمل معايير الجمال ومدلولاتها المعيارية ، ومعنى يبتعد عن هذا المفهوم ولايتصف بالمعنى (الفني-الجمالي). فكان التمييز بين الفكرة الاولى التي لم تميز بين هذين النمطين من الجماليات وبين مانحن عليه في الوقت الحاضر ، فالنتاجات القديمة كانت جميعها دون استثناء تتميز (بالغرضية الفرضية- والترويحية) دائما" ولم تعد تعطي صفة التقسيم والتنوع لها فكل (أثر قديم) نصفه بالجميل والمهم مهما ضعفت تكويناته او صنعته او غرضه ، ولم نجرأ ابدا" بأن نطلق عليه تسمية القبيح او

الردئ او عدم اتصافه بالجمال فبمجرد قولنا او وصفنا له بأنه (قديم) فهو جميل ولأتصافه بتأريخه الماضي وانبهارنا به وتشوقنا لمعرفة مكنوناته واسرار وجوده وصنعته ، فهذا وحده يكفي لأن نتذوقه ونسعد بمشاهدته ام النتاجات المعاصرة والحديثة فلنا معها الكثير من الآراء والاختلافات والافكار التي تجبرنا وتجيز لنا بأن نعزل الجميل من الردئ ، الفني من غير الفني الذي لايحمل صفات ومعايير الجمال ، واهم اسباب هذا الحكم هو اعتمادنا على معايير ذلك الزمان -التأريخ- التي اصبحت لنا (شبه ثوابت) نقيس عليها اعمالنا وجمالياتها تجاه النفس واحاسيسها وماتتذوقه من تلك النتاجات الجميلة .

اذن تبلور مفهوما" جديدا" لنا في فهم الفن اتسم بروح العصر والحداثة التي تغلفه وما يحتويه هذا العصر من متطلبات وقوانين جديدة متسارعة في الافكار وفي معانيها ومواضع استخدامها ، فالأختلاف الحاصل بين الجميل القديم والجميل الجديد املته التطورات لأفكار الشعوب واختلافاتها من حيث الفلسفة والثقافة وحضارتها التي اصبحت علامة مميزة من علامات العصر الحديث ، وهذا قد تمخض عنه هذا التباين في اختلال المعاني وتموضعها الجديد في الاستخدام بشكل كبير وكثير ومختلف ، فنجد مثلا" جماليات العرب وجماليات اوربا وجماليات امريكا وجماليات افريقيا ، وهكذا حتى اصبح الاختلاف دقيقا" حتى في المفاصل المتقاربة والمتجانسة ومثال ذلك هنالك جماليات عربية آسيوية وجماليات عربية افريقية وجماليات افريقية زنجية وهناك جماليات عربية افريقية اسلامية وجماليات عربية آسيوية اسلامية ....الخ ، وهذا يوضح لنا بشكل مهم على ان التطور قد فعل هذا التنوع نتيجة التطور السريع الحاصل بين هذه الاقوام وحصول الثوابت الحضارية الفاصلة لها مجتمعه ومنفردة على حد سواء .

ونتيجة توسع هذه الاختلافات وتنوعها وكثرتها أفرزت معها تلك الاعمال الرديئة -المرفوضة- نفسيا" لعدم توافق جمالياتها مع الذوق العام وكذلك الذوق الخاص ، وبين العام والخاص ظهر التناقض والاختلاف والصراع احيانا" بين الرؤيا للمواقف بحيث جرف معه تيارات تبتعد كثيرا" نحو القطب الثابت نسبيا" بأتجاهات متعددة حتى نجد ان ثوابت الجمال اصبحت مرفوضة ولايعتد بها وان ثوابت مايخالف ذلك اصبحت هي المقبولة او على صواب ، وكل من هذين التيارين لهما انصارهما من (الفنانين والكتاب والمفكرين) وهذا ينمي ظاهرة صراع الاضطاد في كل ما هو جميل ونقيضه .

من هذه الافكار التي سيقت ظهرت غايات للجميل ، وما من عمل قام به الانسان الا يراد به منفعة لذاته ، وان هذه المنفعة اذا ما اريد لها ان تتحقق لابد لها من مسوغات لبلوغها وقناعات يتخذها كي يهتدي بها لبلوغ تلك الغاية ، اي هنالك هدف امامه سواء أكان هذا الهدف قريبا" سهلا" ام بعيدا" صعبا" ومعقدا" ، وكلا" يعد لهما من الوسائل والادوات المناسبة ليحقق بهما اغراضه .

لذلك عندما (صنع ورسم ونحت ونقش وخط واكتشف واخترع) اشياءه اراد بها (حاجه) وهكذا كثرت الاشياء وتطورت وتنوعت وبمرور الزمن ابتعدت شيئا" فشيئا" عن غاياتها واهدافها حتى استقر بها المقام ثباتا" والتي اشبع بها حاجاته البايولوجية والسايكولوجية بشكل مرض ، وكلما تقدم في التاريخ نحو الحاضر كلما تبدلت مفاهيم الاشياء بمفاهيم واهداف جديدة ، حتى صار للفن معنى" وللجمال معنى" وغايات واهداف جديدة بسبب تقنية الحضارة الجديدة التي فاقت كل تصور والتي تنوعت وتقاطعت بها كل الافكار قديما" وحديثا" فعندما عرف الانسان القديم غاية واهداف (الاشياء -المرسومة او المصنوعة -قديما") وطورها واضفى على ادواته النفعية من (جرار وتماثيل ورسومات) النقوش والزخارف ، جعل ذلك نمطا" معرفيا" في عقليته قادته الى ان يوسع من تفكيره ويطوره وينميه حتى بلغ ذروته في انشاء الدولة وبمفهومها البسيط بداية ثم طورها والذي ضم عليه فيما بعد ان يقدم ولائه لها وان يعمل في بناءها وبما يتناسب وعبقريته وامكاناته ومواهبه الجمالية ، حيث بدأت تتبلور افكار البناء الفني على المبادئ التاريخية التي هيأتها ظروف تلك المرحلة من (اقتصاد وسياسة وثقافة) لأن يبدع ويدرك لغة الابداع والجمال ، فهيأت له ظروف تلك المرحلة لأن يتربى تربية فنية - تشكيلية ممتازة ويتواصل بشكل دؤوب في بناء صرح دولته او امبراطوريته ، فزخرف البناء ونحت ورسم وفق الاهداف والغايات الفلسفية الاجتماعية السائدة لديه فشكل لديه وعيا" وادراكا" في لغة البناء وتشكيل معالمه الفنية وكمال عناصرها الجديدة . لقد نما هذا الانسان (الفنان) الجديد نموا" متدرجا" في ابداعاته وفي جميع امكنة تواجده ، وساعد على ذلك التطور استقراره الذي ساد حياته حتى كان البناء الفني لديه واضحا" ومتراكما" كما" ونوعا" واصبح فيما بعد يرنو الى

توصيل اهداف محددة معلومة يبتغيها لتحقيق ذاتياته اولا" ومن ثم ذاتيات مجتمعه والذي هو جزء لايتجزأ من تكوينه المعرفي والتاريخي . ومن هذه الرؤيه نجد بعد ان كان هدفه مجتمعيا" ثم ذاتيا" اصبح فيما بعد ذاتيا" ثم مجتمعيا" وهذا ساعد فيما بعد كل الذين يتصفون بالأبداع والخلق من ان يطوروا ادواتهم واساليبهم وافكارهم ومفاهيمهم حتى اصبحت صفات ملازمة لهم ومن ثم لشعوبهم واوطانهم وبالتالي ونتيجة للأستمرار الطويل اصبحت صفة لأوطانهم ومن ثم لذاتياتهم (كأشخاص معينين) وهكذا نجد التطور في الابداع يحدث نتيجة بلوغ الغاية او الهدف حتى يصبح بعد ذلك الى حالة التزاوج والتمازج بين الاثنين ، وتعطى الصفتين لكلاهما (الفنان والمجتمع)او(المجتمع والفنان) لذلك نجد في الوقت الحاضر تفرد جميع المجتمعات بمفردات (فنية) خاصة بهم وبأستطاعتنا ان نميز ونفرز فنون ونتاج ايا" منها بشكل واضح فنقول مثلا" هذا من البلاد العربية او العربية والاسلامية او الغربية .....الخ ، كذلك نستطيع ان نميز اكثر دقة وحصرا" عند مشاهدتنا قطعة فنية او منتوجا" شعبيا" جميلا" فنقول هذا عراقي او مصري او مغربي او ليبي ...الخ ان هذه الصفات والتي امتزجت بالتبادل والتناوب مع خبرات وابداعات فنانيها الذين كونوا هذا النمط الواضح والمميز والذي ارادوا منه اهدافا" وغايات تتحقق نتيجة الحاجة لها قد اوجد معيارا" جديدا" للصفات وثبت ذلك في ثقافة وحضارة كل بلد وكل شعب بشكل مميز وواضح . اذن يمكن القول ان غايات واهداف وصفات (الفن) تتخذ بواعثها من خلق وابداع الفرد (الفنان) والتي استلها من ثقافة مجتمعه وتأثيرات البيئة المحيطة به فكون ذلك (الشكل المميز) الناتج من المنبعين (المجتمع والبيئة) الذين يكون مطلبهما هو اصلاح الذوق العام وتجميل بيئته (ان موهبة عظيمة مميزة للأنسان هي التي تجعل قدرته على الابداع ممكنة .... ويتخيل موقفا" غير معروف من قبل ويتصور شيئا" لم يشاهده احد قط) (٦-ص٨٧) .

ثانياً :- الانسان واهمية وتطورية الابداع الفني...

في قول للفنان بابلوبيكاسو بوصفه للواقع (بانه يجب ان يمزق بكل معنى الكلمة ، ان الذي ينساه الناس ان كل شئ له طابع فريد، ان الطبيعة لاتخلق نفس الشئ مرتين) ، وهذا القول يشجعنا على ان نتخذ منه متكاء" لنبني عليه افكارنا حول الفن وتطوره سواء أكان هذا التطور بأبدال مفردات الواقع بأشكال لاتشبهه او تتطابق معه تماما" او نطورها ونجدد خلقها ان صح التعبير ، فلا يمكن لنا ان نتصور ان الشئ الذي تتكون صورته في الطبيعة سوف نجد شبيهه تماما" مهما بحثنا في ذلك ، وهذا يجعلنا نؤمن بأن التطور هو مخلوق نام متجدد في الاشياء يعمل فعله في الاشياء كفعل الخلية الحية في اي عضو من اعضاء ذلك الشئ كان بشرا" ام حيوانا" ام نباتا" ، فيحدث النمو ويحدث معه تطوره ، ونتيجة لهذا الانتشار والانشطار تتكاثر الاشياء وتتباعد عن اصولها وجذورها شيئا" فشيئا" كلما تنوع وانقسم وكثر ذلك الانشطار ، ولكن تبقى جذورها (صفاتها) مرتبطة بعلامة مميزة بالأصل الذي لايمكن فصلها بأي زمان وبأي مكان مهما فعلنا فهي الصفة الوراثية الملاصقة ابديا" والتي تعبر عن كينونتها . ولهذا يكون تطور الفن وبلوغ نسبة غاياته التي لانستطيع ان نتوصل الى تمامها مهما فعلنا مرتبطا" بالعلاماتية المرمزة (المشفرة) منذ القدم كاساس تراكمي معرفي .

لقد مر الفن منذ نشأته بفترات طويلة ومتشعبة ومتنوعة من حيث اهدافه وغاياته ومن حيث نوعيته وكميته والمجالات التي تناولها والموضوعات التي حددت أساليب صنعتها وهو واضح المعالم في ثقافات كل الشعوب التي لها فعل آثاري واضح ، فلو تعقبنا البناء الفعلي لدى ((جيلفورد)) لوجدناه يقسم التفكير الى ثلاثة مستويات ، المستوى المعرفي والمستوى الانتاجي والمستوى التقويمي ، وهذه المستويات نستطيع ان نعطيها مسؤولية تمثيل (الحاجات) التي حددها (ابراهام ماسلو - بالظروف السايكولوجية او الفيزيقية من شأنها ان تحافظ على ظروف الفرد (الافراد) وتحسينها)(١٤-ص٣٣٩) . وبما ان العقل الجيلفوردي يتضمن الجانب الانتاجي فهذا يجعلنا ان نتابع عملية تطور هذا الانتاج (الفني) بمختلف مستوياته وانواعه والذي تحقق من تلك الحاجات التي اصبحت هاجسا" اولويا"في حياة الفرد -الفنان ، ونتيجة لأقتران هذه الحاجات مع ما يمتلكه الافراد من معارف بسيطة او معقدة متنوعة ((تراكمية)) حدثت عملية البدء بالتطور تدريجيا" اي اصبح هنالك نوعا" من التزاوج افرز دلالات ومعان كثيرة اعطت في مقارباتها قاسما" مشتركا" بين الماضي لذلك الانتاج البكر وحاضر هذا الانتاج الجديد ، فالمسافة الزمنية (الابداعية - التطورية) لذلك الانتاج كونت وضوحا" للمعرفة الشكلانية سواء

في جوانبها النوعية او الكمية ادى هذا الوضوح الى تثبيت الصفات والمعايير الفنية لكل نتاج فني ابداعي .

إن عملية التطور التي حدثت في النتاجات الابداعية الفنية لم تكن قد اختطت لها نمطا" تطوريا" انفردت به عن باقي عوارض الحياة الاجتماعية ولم تكن هي التي فعلت ذلك بقصدية غائية لذاتها ، وانما كان ذلك نتيجة التطور الذي حصل في تلك المجتمعات والذي املته عليه حركة المجتمع عبر التأريخ وما احتوته من متطلبات النهضة والتطور ، فاذا كان التطور قد حدث في الجانب الثقافي تأثرت الجوانب الابداعية الفية فيه ايضا" ، واذا كان تطورا" في المفاهيم الاجتماعية تأثرت الجوانب الابداعية الفنية كذلك ، وهكذا يكون التطور في المفاصل المهمة الحياتية والممتدة عموديا" وافقيا" في ذلك البلوغ لتطور المجتمعات .....

اذن من هذا الذي تكون في غربلة وانتقاء الافكار والمعارف وتحويلها الى افعال مادية كنتاجات افرزت نمطا" انتقائيا" متواصلا" ومتلازما" مع ذلك الانتاج ((فكريا" بحتا" ام عمليا" مهاراتيا")) وهذه العملية الانتقائية اوجدت نوعا" من التقييم والتقويم ليمكن النتاجات الفنية من بلوغ غاياتها بأفضل واحسن صورة تتصف بها . فعندما يحدث التقييم التاريخي يحدث معه الفرز التاريخي النوعي ايضا" وتنشأ عند ذلك معالم ايجابية الموضوع خالي من الاسقاطات التي لايرغبها الفرد او المجتمع فيحدث التقويم والتعديل ومن ثم زيادة في النمط الابداعي وهذا هو جوهر عملية التطور الابداعي الفني الذي امتزجت معانيه بكل مفردة من مفردات تراث مجتمعاته ، واعطت له فيما بعد كلمة السبق من حيث التفرد والتميز واصبحت مرتبطة بتلك الجذور القديمة التي اطلق عليها عالم النفس – يونك – بـ ((اللاشعور الجمعي – Collective Unconoscious)) اي انهم ((الفنانون)) يرثون الافكار المجردة والرموز التي ارتبطت ارتباطا" لاشعوريا" مع افكارهم وتصوراتهم حتى اضفت صفة ملازمة تميز كل مجتمع عن سواه ، ونتيجة لهذا اختلفت مفردات مكونات ولوازم نتاجاتها الفنية واصبحت احد مميزات وصفات ذلك المجتمع ولازمه من صورة فنونه المعرف بها بعد ذلك .

لقد اصبح من الواضح فيما بعد ان عملية التطور الابداعي هذه التي شملت الافراد ونتاجاتهم المختلفة تشمل ماهية الفن نفسه ، وانعكست تلك الافكار الفردية والجماعية في الفنون على تطور مراحله وانواعه ومدارسه . فحدث التطور الذي نقصده في الفنون وازداد عمقا" وشمولية" نتيجة ازدياد الحاجة ونتيجة تعقد الحياة وازدياد متطلباتها النفعية فأوجدت مانسميه اليوم بالفنون التطبيقية التي تمارس افكارها ومتطلباتها في جميع الاصعدة المجتمعية الجديدة ، حتى اننا نجد اليوم الكثير من الافكار والمعاني قد تبدل واختلف مغناها وحاجتها في الاستخدام واصبحت من ضرورات ومسلمات العصر الجديد ومن صفات ومميزات فنونه وبالرغم من غرابتها بداية" واستهجانها لكننا نجد انفسنا بعد حين مرغمين على تبنيها ومن ثم العمل بشاكلتها كون ان مفهوم الجميل او الجيد قد تبدل حديثا" واكتسب صفات غير الصفات التي كانت سائدة سابقا" فحملت صفة الجميل والابداعي والخلاق فأكتسبت صفة الرضا والقبول والاستحسان فأصبحت افكارا" تحمل ذوقا" وتعابير لها وفق الحياة الجديدة ولتأكيد ابداع الانسان تأريخا" وحضارة . فأوجد لها اهمية بأهميته ، وكون قد صوره الله (عز وجل) بأحسن صورة وفضله على جميع مخلوقاته واعطاه من الصفات والمميزات التي لم يعطها لغيره ، فقد كانت افعاله وتصرفاته محسوبة بدقة ومسجلة تسجيلا" دقيقا" عند الخالق وبها يحكم علاقاته بالطبيعة وما تحويه من صفات الجمال والمتعة والامان والابداع ، واحكمت بنظام ثابت لاتتغير كنهه ويحكمه توافق وانسجام صارمين ، فأدركه هذا الانسان – الفنان – فطريا" منذ القدم حتى اصبح فيما بعد صفة ملازمة من صفات فنونه وابداعه واعتبرها عاملا" جوهريا" مغذيا" لكل افكاره فيما بعد حتى تمكن من اكتشاف العلاقة الحميمة التي تربطه اولا" بالطبيعة وتربط الطبيعة بفنه ثانيا" ، فأصبحت الطبيعة ((البيئة)) القاسم المشترك بينه وبين نتاجاته الابداعية (فالفن هو الذي يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق فالجمال حقيقة في هذا الكون والحق هو ذروة الجمال ، ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود)(١٦ص٧) .

لذلك اتجه الفنان بكل احاسيسه وانفعالاته وتجاربه النفسية الى هذا الوجود الذي مهما فعل ومهما استبطن في ذاته مما يشاهده لايمكن له ان يصل الى حقيقة وكنه هذا الوجود ، لأن ذلك خارج عن تصوراته وقدراته العقلية ومدياتها المادية ، ففهم وادرك قلة وصغر امكاناته امام خلق هذا الوجود ، فتمخض عن هذا العجز ارادة وتصور جديد في ارادة التعبير

عن كل ماهو جميل امام عينيه واحاسيسه مستخدما" كل مايمكنه من اظهار براعته لأيصاله الى ما يتناسب وجمال الكون وعظمته .. ومن هنا ظهرت النوادر الفنية وقوتها الابداعية التي تعبر عن ذلك الامتزاج الروحي مع الطبيعة حاوية الجمال كل الجمال (فما نعجب به في اي عمل فني انما هو الصورة التخيلية المكتملة التي التحفتها او تلبست بها احدى الحالات النفسية)(٥-ص٤٩٥) . لدى هذا الانسان – الفنان- وبهذا الفعل اراد ان يصور لنا ويعرفنا عن وجهة نظره في هذا الكون الواسع ، فلم تكن نتاجاته الفنية تحديا" لهذا الكون المخلوق وانما اراد ان يوضح ألفته وتقربه وخشوعه وخضوعه الى جمال خلقه حتى وصل الى ان يتعبد ويحكي معاناته مع زوايا اراد بها ان يلتحف بأشجارها ومياهها وخضرتها التي تمثل طبيعة الكون للتقرب الى المجهول الذي اوجدها فأصبحت له جزء" من عباداته ، حتى اتت اعماله لتكمل فعل الجميل والخير معا" . لقد عاود هذا الانسان –الفنان محاولاته بهمة وصبر ومطاولة دون ملل محاولا" تجاوز الإخفاقات التي حصلت في نتاجاته الفنية ، لأحساسه العميق بأن عليه ان يسد النقص والعجز الذي يعتريه في قدراته وامكاناته الابداعية ، وهكذا حتى يتوصل الى غاية جديدة وفكرة جديدة تعيش مع عصرها ومع تأريخها الذي تسير فيه حاضرا" ومستقبلا". فتولدت الافكار متراكمة فنشأ الفن الابداعي وهكذا دواليك الى ان تتوقف الحياة في هذا الكون .

لقد امتزجت العلاقة الابداعية داخل نفس الفنان متخذة للتزاوج وامتزاج وحدة التفكير اساسا"في بناء تلك العلاقة لخلق العمل الفني فهي من جانب تعي ما للجانب الروحي من دور في عملية الايمان والالهام وتعي من جانب آخر ما للمادة من اهمية في اخراج ذلك النتاج الفني بصورة اكثر جمالية واحسن ابداعا" ، فتهيأت لهذا الانسان –الفنان فرصة الاطلاع المركز على الكون المادي والروحي سوية" كي يبدع بتفرد (فالفنان او البشر الذي يطلع حسه على الكون الروحي وحده او الروحي وحده اصغر مساحة في التقويم الفني من الفنان الذي يستطيع حسه ان يتفتح لهذا الكيان او ذاك ، ويستطيع ان يدرك مابين الروح والمادة من ترابط وامتزاج)(١٦-ص١٧) .

ان اهتمام المجتمعات المتحضرة في نتاجات فنانيها كان دافعا" ومشجعا" لزيادة الاهتمام بكل تجربة فنية تساهم في التذوق الجمالي لأفرادها وترويح النفس التي اصبحت بحاجة الى الاسعاد والاطمئنان اكثر من اي وقت مضى ولأشباع الفني من الطبيعة وهذا الكون سواء اكان في المنزل او المحيط الخارجي ، فأتى الابداع ناضجا" معمقا" رؤية مكونات الطبيعة بشئ من الالهام الذي تمخض من تلك المعاناة والتأملات التي مرت على هذا الانسان – المبدع والذي يكتشف ويعطي تصور جديد بمنظور ورؤية تختلف اختلافا" كليا" عما يراه الآخرون ، اي هناك مرحلة مخاض عسير للفكرة تسبق عملية انتاجها وتنساق في برهة تأملية نقية تجاه اعماق النفس ومع الآفق البعيد اللامرئي حتى اذا ما توحدت في النفس والعقل أتت بكامل صورتها الهامة والمبدعة ، فالأبداع اتى نتيجة ذلك الالهام الحدسي وفق ضوابط التأمل والخبرة والمقدرة حتى الوصول بالأمساك بالفكرةالجديدة لخلق الشئ الابداعي الجديد ، لقد قال ديلاكروا (بأن الالهام هو صدمة كالأفعال ... وان لحظة الالهام كحال من يجذب انتباهه فجأة . عندئذ يختل الاتزان لديه ، ويمضي نحو اتزان جديد ... كما تدخل عندئذ حال وجدانية قد تكون عنيفة ، حتى تبلغ حماسه . وينسال في الذهن سيل فجائي من الافكار والصور)(١٢-ص٥٠) . ان وجهة نظر ديلاكروا تقترب كثيرا" من وجهة نظر الجشتالتيين من حيث ارتباط الانفعالات المكبوتة لدى الفنان الجشتالتي بماهية الناتج الابداعي لديه اي حصول غبطة وانشراح جيدين في داخل النفس عند دخوله مع ارهاصات الخيال والتبصر والاستنتاج حتى اكتمال لحظة الصورة (الفكرة) واضحة" لديه اي تمكنه من بلوغ الجشتالت الجيد ليقول بعدها ((وجدتها)) أي الفكرة –الحل- الجديد والتي تولدت لديه نتيجة المخاض الصعب داخل نفسه المبدعة ، وهكذا تتحدد الصور الابداعية الخارجة من المعاناة الالهامية لديه ، ويؤكد روجرز ايضا" في نفس الأتجاه متخذا" موقفا" كليا" من الكائن الحي البشري (بأن كل عناصر شخصية الانسان تتفاعل ، ويؤثر بعضها في بعض لدرجة انه لايمكن فهم وظيفة اي عنصر اذا ماانظرنا اليه كعنصر قائم بذاته)(٤-ص٣٩٥) ، وهو الرأي الذي يقترب مع اصحاب نظرية الصورة او الشكل العام الذين يؤكدون على اننا ندرك الاشياء اولا" –صورها الكلية-واشكالها-لا احساسات منعزلة ناشئة منها ، فالفرد يدرك مايراه ادراكا" كليا" موحدا" من خلال عالمه المحيط والذي يعبر عنه بأسلوب ذاتي يتصف بالحرية والانطلاق ، وهذه علامة من علامات بلوغ الحالة الابداعية عند الانسان المبدع ، ايضا" يدلنا –فليكس كلاي- عن مفهوم الالهام فيقول (اننا نطلقها على لحظات الابداع الفجائية ، وهي لحظات تنتابنا مصحوبة بأزمات انفعالية وتبدو بعيدة عن العمليات العادية للعقل والشعور ، بعيدة عن حكم الارادة وسيطرتها)(١١-ص١٣٣) . ان هذه الآراء والتصورات تدلنا جميعها بوجود قاسم مشترك وهو الصورة الاولى اللامرئية التي تمر على ذهنية الانسان المبدع مسرعة حاملة معها غبار الماضي الشفاف الذي يستطيع هذا المبدع ان يمسكه بوعي وادراك متسامي وان هذا العقل الذي يتصف بحمل التصورات الابداعية يحتوي على قدرات كثيرة ومتنوعة الوظائف تتصف بالحساسية والطلاقة والاصالة والجدة والتفرد والمرونة والخلق والتكوين والابتكار وهذه جميعها تفرز نتاجا" ومجهودا" تلقائيا"اراديا" مهما" تؤطره دوافع المبدع وحاجاته المستترة ليعبر من خلالها من كونه ذلك المخلوق البشري الذي يرى الاشياء بعين تختلف كل الاختلاف عن الآخرين (ان

المجال الظاهراني للفرد هو ادراكه الفريد للعالم فكل منا ينظر الى العالم بطريقته الخاصة ، ويفسره بطريقة مختلفة الى حد ما ، وتعتبر قدرة الفرد على الوعي بمجاله الظواهري الخاص ، وفهم مجال الآخرين امرا" هاما") (١٧-ص٦١٨).

ان تمام العلاقة القائمة بين اشكاليات التربية واشكاليات الفنون يجعل من نواتج الحلول غاية في الاهمية لتطوير تلك العلاقة بأعتبار ان الميول الفكرية للتربية تلامس بشكل كبير حدود الفن وماهيته وكذلك ان الميول الفكرية للفن تلامس ايضا" وبشكل كبير حدود التربية وثقافتها ، ولذلك اجد من المهم جدا" ان يكون هنالك توصيفا" وامتزاجا" جديا" بين طرفي المعادلة التربوية اذا ما اردنا ان نطور الاشياء نحو الافضل فما دام هنالك انسان نجد هنالك معايير لتربيته وتعليمه ومن هذه التربية ومعاييرها الا جزء" لايتجزأ من نتاجه الابداعي بمختلف مسمياته وكما قال المفكر جون راسكين ((ان الامم العظيمة تكتب تأريخها في ثلاثة كتب ، كتاب افعالها وكتاب كلماتها وكتاب فنونها وان الذي يستحق الاهتمام من بين هذه الكتب هو كتاب فنونها)) .

الفصل الرابع

الاستنتاجات والتوصيات

لاشك ان تقارب التربية والفنون كان يعتريه الكثير من التشويه احيانا" وعدم الرغبة في التحدث بتقاربهما وعلاقتهما في اعداد الفرد احيانا" اخرى ، وكانت هذه اللازمة البحثوية لدى بعض الساسة الذين يضعون البرامج التربوية والتعليمية لتعلم النشئ يشوبها نوع من التوجس وعدم الرغبة في الخوض بتفاصيلها التطبيقية بشكل واضح فتعاملوا معها بشئ من السطحية وعدم اعطائها الاهتمام كما في باقي العلوم الاخرى ولكن عمق التراث الفني لشعوب واصالته وعبقريته حتم على سواد المفكرين التربويين بان يتعاملوا مع هذا الأرث الحضاري الفني بجدية اكبر ساعدها في ذلك هو دور الفنان نفسه الذي اعطى مسوغا" منطقيا" لأن يشجع اولئك المعدين للبرامج التربوية والتعليمية على الاهتمام بالفنون وجعل اشكاليته من الدوافع الايجابية لأن يمزجوها ويصهروها مع الفنون الجميلة ، لذلك كانت البرامج التربوية النخبوية التي تتعامل مع الابداع والمبدعين تتضمن وتدعو وتشجع على الربط بينهما واصلاح كل نواتج العوالق القديمة باطرها السلبية ، بالاضافة الى ذلك كان الدور البحثي العلمي للنتاجات المعرفية كفنون نظرية وتطبيقية قد اصبح متزايدا" واعطى النتائج الايجابية في جميع المفاصل المهمة من حياة الافراد سواء في المؤسسات الاجتماعية ام العلمية الاكاديمية ام غيرها واصبحت تدخل في جميع مفاصل الحياة العامة بشكل تنافسي وقيادي احيانا" كثيرة ، فاهتمت الدول بالنمط المعرفي للابداع وللفنون بمختلف مدارسها واساليبها واطرها سواء اكانت قديمة او حديثة . ان التراث العالمي للفنون قد اعطى دعما" للمفكرين التربويين وللمنظرين في مجال الفنون والفنانين انفسهم وهذا الدعم اضفى الى نتيجة هذا التواصل الايجابي وهذا الترابط الاخلاقي في شكلانية العلاقة بين التربية ومفاهيمها وبين الفنون ونواتجه ، فأهتموا بالتراث الابداعي للأنسان القديم واعتبروه محطة اساسية ومهمة لجعله معيارا" للجميل ومقيسا" لكل جديد يحمل متعة العمل ونبش ماضيه .فأتت الفلسفات والافكار الاجتماعية لتعبر عن دورها في تثقيف الافراد والمجتمعات وماتحمله من اطر معرفية تتوغل وتغور في عمق التفكيرالانساني وبالتالي تصبح صفة وعلامة مميزة فكريا" للافراد والمجتمعات ، وعندما تتحقق هذه وفق معادلات التاريخ والاستمرار في المخاض بينهما وبين القديم الفلسفي تصبح مهيأة لأن تتداخل مع ابداع ذلك الفرد وذلك المجتمع بكل مفردات وعناصر ورموز نواتجه الابداعية سواء أكان ذلك معمارا" ام نحتا" ام رسما" ام قطعة فخار فأتت النظريات لتساق وفق هذه المسميات وتغير فلسفة الفنون المجتمعاتية نحو التطور ...

لقد كان دور الفنان المبدع المعاصر في افكاره ونتاجاته معبرا" عن الفته مع المحيط الذي يعشقه وتتويجا" لحبه لهذه الطبيعة التي الهمته الشيء الكثير والكبير من ذلك النتاج الابداعي وليس تحديا" باتجاهته السلبية وانما تحديا" مشروطا" بالحب لهذه الطبيعة كي يوطر ذلك بالحالة الابداعية التطبيقية لها. وكان قد توج ذلك الحكم المعرفي النظري الفلسفي والنتاج الابداعي الثر في سنوات الفترة النهضوية في القرن الخامس عشر واصبح التلاقح ظاهرا" وواضحا" في تزاوج الافكار التربوية الفلسفية وفنونها في اعلى درجات عظمته والذي مهد الى الافكار النهضوية فيما بعد وخصوصا" في القرن الثامن عشر والتاسع عشر وما نتعامل به في الوقت الحاضر الا نتاجا" رائدا" في التشجيع على استلهام تلك الأسس المعرفية الفلسفية الاجتماعية التربوية وربطها بعالم الابداع والفن ورائدها في ذلك رجال التربية ورجال الفنون في الدفاع عنه وتثبيته كأسس اشراطية لأستجابات مطلوبة في عصر العولمة الجديد والذي اصبح الفن والابداع الفني فيه يتصدر كل منافذ الحياة العملية سواء اكان في السياسة او الاقتصاد او الافكار الاجتماعية والعلمية مجتمعة . ولذلك تعتبر التربية المعرفية ضرورة من ضرورات التمازج مع الفنون الجميلة والتعامل بجديه وصبر مع الأفكار التي تقوض العلاقة ما بين هذه التربية والفنون وتطويرها باتجاه جوانبها الايجابية وفق أسس وظفها الباحث كتوصيات لتحقيق أهداف هذه الدراسة بـــ ١ . تعتبر التربيه المعرفية ضرورة من ضرورات التمازج مع الفنون الجميلة

٢. التعامل بجديه وصبر مستمرين مع الأفكار التي تقوض العلاقة ما بين هذه التربية والفنون باتجاه التعديل أيجابياً وفق الأسس التي وظفها الباحث كتوصيات لتحقيق أهداف هذه الدراسة .

ومما تقدم فقد يوصي الباحث ما يأتي :-

١ . العمل بوضوح وبدون تماهل على أظهار المعارف للفنون الجميلة كظاهرة رائدة وضرورة معاصره في تطور الأفراد والمجتمعات .

٢ . الاهتمام بمنهجة معارف المراحل الدراسية كافه (رياض أطفال – ابتدائي – متوسط – أعدادي) بمفردات معارف الفنون وفق المنظور التربوي الذي يحبب ويرغب جميع أفراد العملية التربوية والتعليمية بالفنون الجميلة .

٣ . تعميق الوعي لدى أفراد المجتمع (وعي الأسره) بشكل أكثر فعاليه بقيمة تراثنا الفني العراقي والعربي والاسلامي من خلال البرامج المعده أعداداً مشوقاً ولخلق نوع من التواصل المعرفي والروحي مع هذا التراث القديم والحديث من خلال ما يأتي :-

أ . التعريف بكل حضاراتنا منفرده وأهم مميزاتها التاريخيه والفنيه وأهميتها بين الشعوب من خلال وسائل الاعلام المقروءه والمسموعه والمرئيه .

ب . التحدث عن أبرز الفنانين وأعمالهم الفنيه القدماء منهم والمحدثين .

ج . أصدار النشرات والمجلات الدوريه بأفضل كفاءه إخراجيه وطباعيه تتحدث عن تلك الأعمال التاريخيه وما أهمية الابداع الفني فيها .

د . تنظيم زيارات دوريه للطلبه في جميع المراحل الدراسيه الى المواقع الاثريه العراقيه .

هـ . تنظيم زيارات للطلبه للمتاحف والجمعيات للفنون الجميله داخل الوطن .

و . توجيه المؤسسات وكليات ومعاهد الفنون الجميله بتنفيذ الأعمال التراثيه الفنيه ومن تراث الحضارات العراقيه والعربيه القديمة بأحجام كبيرة توضع في الساحات العامة وفي جميع مدن الوطن .

٤ . الاهتمام بالمشرف التربوي للفنون كماً ونوعاً في المديريات العامة للتربية في جميع محافظات العراق .

٥ . الاهتمام الجدي بتنظيم الزيارات الدورية والمنظمة للكوادر التدريسيه للفنون وبالتنسيق مع وزارة التربية لجدولة هذه الزيارات وفق معسكر محدد يقام في العاصمة أو شمال أو جنوب الوطن ، يتخلله تنفيذ أعمال فنيه (رسم ، نحت ، فخار ، أعمال أخرى) ويقام في نهاية هذا المعسكر معرضاً فنياً شاملاً (كأن يكون من كل مديرية تربيه ثلاثة مدرسين سنوياً) وعلى نفقة وزارة التربية .

٦ . تعميق الفكر التربوي الفلسفي للفنون الجميلة لكوادر الفنون التدريسيه من خلال الدورات التثقيفية السنوية وبالتنسيق مع أساتذة كليات الفنون الجميلة .

٧ . الاهتمام بالمبدعين والمتميزين فنياً من الطلبة وإقامة المعارض السنوية التنافسية لهم وإرسال المتفوقين منهم إلى خارج الوطن لمشاهدة المتاحف الفنية العالمية مع مدرسيهم للفنون .

٨ . أن وجود مثل هذه الأفكار والمعارف الفلسفية وبعد انتشارها بالمجتمع سيعمق وعيها تجاه تقبل فكرة الفنون الجميلة ، ويساعد هذا الوعي إلى أظهار الكوادر التي تنادي بالاهتمام بالفنون الجميلة المربية ومقاومتها للأفكار التي تحد من انتشار المعارف الجمالية سواء أكان ذلك في المدارس أم المجتمع .

قائمة المصادر

١ . أوتادي ، أرك – التربية والمجتمع – ت ، مهيب سمعان وآخرون ، مكتبة الانجلوبصرية ،القاهرة ، ١٩٦٨ .

٢ . الجلال ،د.عبد العزيز – المعلم العربي مستوى الاعداد ومنزلة المهنة ، رسالة الخليج العربي ، العدد ١٣ السنة ٤ ، ١٩٨٤ .

٣ . المغربي ، د.كامل محمد – السلوك التنظيمي ، دار الفكر ، الاردن ١٩٩٣ .

٤ . جوردون ، وآخرون – اتجاهات علم النفس المعاصر ، ت. عبدالله احمد عريف ، د.ت.

٥ . ديوي جون – الفن خبرة ، ت، د.زكريا ابراهيم ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

٦ . وسيتون ، قول ي –الابداع ودور الاهل ورياض الاطفال في تربيته . مجلة التربية ، العدد ٨٨، قطر ، ١٩٨٨ .

٧ . حمدان ،د.محمد زياد – تطوير المنهج ، دار النهضة الحديثة ، ط١ ، الاردن ، ١٩٨٥ .

٨ . بس ، د.نبيه – ابعاد متطورة للفكر التربوي ، مطبعة دار التأليف ، مصر ، ١٩٧٨ .

٩ . كولنجوود ، روبين جورج – مبادئ الفن ، ت ، د.احمد حمدي محمود ، الدار المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

١٠ . لطفي ، د.عبد الحميد – علم الاجتماع ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١ .

١١ . مراد ، د.يوسف – علم النفس في الفن والحياة ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

١٢ . عاقل ، فاخر – الابداع وتربيته ، دار العلم للملايين ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨١ .

١٣ . عبده ، سمير – التحليل النفسي للحرية ، دار الكتاب العربي ، دمشق ، ١٩٨٩ .

١٤ . عدس ، د.عبد الرحمن – علم النفس التربوي ، دار الفكر ، عمان ، ط١ ، ١٩٩٨ .

١٥ . فرحان ، محمد جلوب – دراسات في فلسفة التربية ، جامعة الموصل ، العراق ، ١٩٨٩ .

١٦ . قطب ، محمد –منهج الفن الاسلامي ، مطبعة دار القلم ، القاهرة ، د. ت.

17.Roqers . C. on Becoming aperson . Atherapists View of psychoth erapy Boston: Houghton Mifflin 1961.